«القدس العربي» تنفض الغبار عن الاسرار.. نفط العراق لم يعوضه السعوديون ولا الكويتيون ولا الأمريكيون

صدام لأبو الراغب قبل الحرب: الأردن الضعيف إقتصاديا هو «الوطن البديل» ولولا «الحصار الظالم» لارسلنا كل حاجتكم من النفط «مجانا»

عمان ـ «القدس العربي» ـ من بسام البدارين:

عندما استقبل الرئيس العراقي السابق صدام حسين عام 2000 رئيس الوزراء الأردني آنذاك علي أبو الراغب في أحد قصوره الجمهورية كان الأخير قد خرج للتو من جلسة حوار «صاخبة» مع طه ياسين رمضان وطارق عزيز عنوانها «سيناريوهات الحرب وقرار 1284» الخاص بالمفتشين.

في تلك اللحظات العصيبة كان ابو الراغب أول رئيس وزراء عربي يزور بغداد رسميا منذ سنوات الحصار الطويلة ورؤيته التي تحدث بها مع رمضان وعزيز كانت تقضي بان يوافق العراقيون على القرار الدولي الجديد ويسمحون للمفتشين بالعودة ملمحا الى ان سيناريو العمل العسكري جاهز ويعد له ضد العراق ومتحدثا بجرأة في هذا الموضوع بإعتباره من السياسيين الأردنيين الذين ربطتهم دوما علاقات طيبة ببغداد.

موقف رمضان كان قاسيا للغاية فقد سأله أبو الراغب: هل يوجد لديكم ما تخفونه من أسلحة يتحدث عنها الامريكيون فرد رمضان بالنفي: إذا لماذا لا تقومون بمبادرة وتسمحون للمفتشين بالعودة ـ قال ابو الراغب ـ فرد رمضان بعبارة حادة قائلا: لن يحصل ذلك حتى لو قامت حرب عالمية ثالثة.. انذاك ابلغ ابو الراغب بأنه سيجرب طرح الموضوع مع الرئيس مباشرة في لقائه التالي به حيث ان عمان في ذلك الوقت كانت تسعى لإن تقوم بدور وساطة يبعد شبح الحرب.

وعندما قابل ابو الراغب صدام حسين حاول طرح الموضوع لكن الأخير أبلغه بان باب النقاش مغلق في هذه القضية ففهمت الرسالة من الجانب الأردني وخطط صدام بعناية لحظتها للالتفاتة سريعة نقل بها مجريات الحوار فقد قال لأبو الراغب بالحرف الواحد «هل تعلم لولا الحصار الظالم لأرسلنا لكم كل النفط الذي تحتاجونه في الأردن مجانا فأنتم أخوة لنا». وبعد لحظات كشف صدام عن نظريته في دعم الأردن نفطيا فقال: بلدكم يجب ان يبقى قويا إقتصاديا ففي أي حالة يضعف بها إقتصادكم سيحاول الأشرار حل القضية الفلسطينية على حسابكم وسيصبح هناك بديل وسيبتعد حلم الشعب الفلسطيني البطل في تحقيق دولته المستقلة. وأردف صدام حسين لذلك أقول جادا لولا الحصار لما إكتفينا بالنفط التشجيعي لكم ولأرسلنا حاجتكم مجانا فأنتم منا ونحن منكم.

ويظهر هنا ان صدام حسين وفي هذا اللقاء فقط تقريبا كشف عن خلفيات نظريته في دعم الأردن نفطيا طوال سنوات. وفي الواقع يشارك أردنيون كثيرون الآن ومنذ سنوات الرئيس صدام في قناعته بخصوص الملف الإقتصادي الأردني وتأثيره على مجريات القضية الفلسطينية ويبحث كثيرون عن ذلك السر الغريب الذي يدفع الأمريكيين لإبقاء الأردن ـ أحد اهم وأقرب حلفائهم في المنطقة ـ على الحافة بالنسبة للموضوع الإقتصادي.

وإستحضار تفاصيل الكلام الذي دار بين صدام وأبو الراغب عندما كان الأخير رئيسا للوزراء له ما يبرره في الواقع عند بروز اي محاولة في عمان الآن لطرح ملف صدام حسين الرئيس الأسير الآن، فالرجل إستقبل قبل أيام فقط نقيب المحامين الأردنيين صالح العرموطي داخل زنزانته الامريكية وطلب منه نقل العبارة التالية: إرسل تحياتي لسماء وهواء وأرض الأردن قيادة وشعبا.

ومشاعر صدام تجاه الأردنيين لها في الواقع ما يبررها فمحاموه الأردنيون والعرب والعراقيون لم ينقلوا عنه بعد السجن اي عبارة تفصل بين الأردن والقيادة اوتحرض للشاعر على الحكومة في عمان كما كان يفعل طه ياسين رمضان الذي طلب من الأردنيين عشرات المرات الخروج للشوارع للتظاهر وهو ما لم يفعله صدام ليس لإن الأردن وقف مع العراق سبع سنوات عجاف في الحصار كما يشهد الدكتور سطام الكعود أحد رموز العلاقة الأردنية العراقية وليس لإنه ـ اي صدام ـ يتحرك أردنيا في سياق علاقة مضادة لإسرائيل ـ ولكن لإن العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني وفي حادث مشهود أرسل شقيقه الأمير علي بن الحسين لإحضار كريمتي صدام رغد ورنا صدام حسين مع تسعة أحفاد واحتضنهما في مقر الضيافة الملكي ثم رتب لهما منزلا فخما للإقامة في عمان مع حراسات خاصة ومبلغا ماليا ضخما يعرف تفاصيله محامو صدام حسين. وهذه الكيمياء في العلاقة بين الأردنيين وصدام حسين كان لها دوما ما يبررها وكانت حاضرة في المشهد بالرغم من الخلافات السياسية وبالرغم مما يقال عن تسهيلات أردنية خلال الحرب الأخيرة على العراق فـ«القدس العربي» إستمعت مباشرة لرئيس وزراء أردني زارته وهو يعترف بان الأردن فقد الكثير إقتصاديا بغياب صدام حسين كاشفا في لحظة مشحونة عاطفيا بان «أيام صدام حسين» كانت أفضل لنا في الأردن من كل الأيام التي بعده، وقائلا بلهجة محلية عبارة معروفة تقال في مثل هذه الحالات وهي..«سقا الله أيامك يا أبو عدي» ومضيفا وهو يوجه كلامه لـ«القدس العربي» مع ملاحظة بان ما سيقوله ليس للنشر: بصراحة كان صدام يساعدنا كثيرا وقد خسرناه في موضوع النفط.

وهذه الكيمياء كان لها في الواقع جذور في التاريخ فإحدى الروايات المتداولة دوما في وسط نخبة عمان عن «الأيام الخوالي» التي كانت العلاقة فيها مع صدام إستراتيجية. وتقول الرواية ان صدام حسين في احدى السنوات إتصل بالملك الراحل الحسين بن طلال في لحظة أردنية كانت «حرجة جدا» ماليا وليس إقتصاديا، وطلب صدام من الملك إرسال إثنين من ضباط الجيش الأردني لبغداد فورا بدون الإفصاح عن ما يريده.. ويقال على ذمة جنرال سابق روى الحكاية لـ«القدس العربي» ان الضابطين توجها لبغداد بطائرة مروحية وعادا برفقة حقائب فيها خمسون مليون دولار لدعم الخزينة الأردنية. ويقال ان رئيس الوزراء الحالي معروف البخيت كان واحد من الضابطين.

وقي التاريخ أيضا يتردد ان الملك حسين لم يكن راضيا عن تنظيم لقاءات بين صهر صدام حسين الجنرال القتيل حسين كامل الذي لجأ لعمان هاربا عام 96 وبين دبلوماسيين غربيين وان الملك علم بأن كامل قرر مغادرة عمان والعودة لبغداد فوصفه بوصفة «مهينة».

وهذا النمط من العلاقة يوضح الكثير من الملابسات فصدام حسين المسجون حاليا يرسل في كل مناسبة تحياته للأردنيين قيادة وشعبا وخلافا للكثير من العراقيين لم يتهم الأردن بالمشاركة في المجهود ضد حكومته ونظامه. ومن الواضح انه ابلغ بتأثره الشديد بمبادرة الملك عبدالله بإرسال شقيقه الأمير علي لإحضار بناته واحفاده لعمان وحمايتهم.

ورغم ان الصحافة الأردنية التي بنى صدام حسين للعشرات من قادتها بيوتا في عمان في الثمانينيات لم تعد تذكر الرجل بالخير على الإطلاق إنما لا تذكره بالسوء ايضا فالإساءة الشخصية لصدام وعائلته تعتبر «غير مقبولة» حكوميا في عمان في حين يوجه اعضاء بارزون في البرلمان مثل خليل عطية تحياتهم للرئيس صدام حسين في كل مناسبة ولقاء عام.

وبسبب الحساسيات والإعتبارات المفهومة لا مجال لذكر «محاسن» صدام حسين كثيرا علنا الآن لكن لا مجال بالمقابل للتركيز على مساوئ الرجل بالوقت نفسه وفي وجدان غالبية السياسيين المخضرمين والقدامى لصدام حسين مكانة خاصة يحتفظ البعض فيها بالصدور ويستثنى من ذلك تيار «الديجتال» من الرموز السياسية التي لا يعنيها لا صدام حسين ولا المعادلة القومية برمتها في زمن الإنترنت والغرف الإلكترونية الصغيرة.

ولا زالت شعبية صدام صلبة في أوساط الجمهور والأحزاب والمئات يتابعون جلسات محاكمته عندما تبث وإسمه يتردد حتى الآن في المنابر والندوات والشاشات والمنتديات ورغم ان الخطاب الرسمي متحالف تماما مع العملية الأمريكية في العراق او لايعارضها إلا ان احدا في نخبة الحكم الرسمية لا يوجه نقدا مباشرا وعلنيا للرئيس صدام او لعهده.

ولم تثبت حتى الان صدقية أي من النظريات التي راجت منذ عام 1994 والتي تقول بان التحالف مع صدام حسين ينطوي على

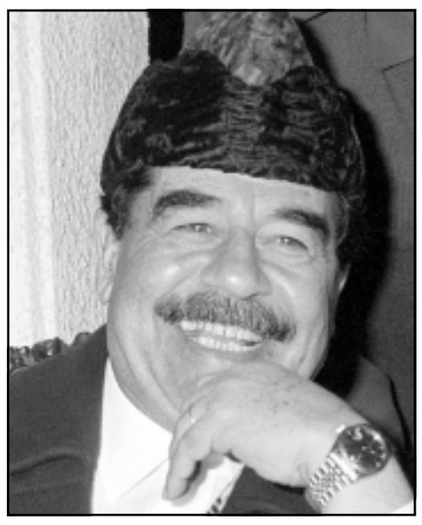

صدام حسين

خسارة إقتصادية خلافا للإنتقال من دائرته نحو دائرة دول الخليج مثل السعودية والكويت فلم «تعوض» اي دولة عربية غنية حتى الان الأردنيين عن «نفطهم» الذي كان يقدمه صدام ولم يفعل الأصدقاء الأمريكيون وكذلك لم يفعل الأصدقاء من حكام العراق الجدد وكل ما حصل مساعدات موسمية غير قابلة للتكرار قدمتها السعودية والكويت والإمارات.

وإنطلاقا من هذه الوقائع والحقائق يمكن تفهم بعض الهوامش الرسمية الأردنية سواء تلك التي سمحت لأكثر من ثلاثين لجنة شعبية بالنشاط ايام الحصار او التي سمحت بتحويل عمان لمركز خاص بالدفاع القانوني عن صدام حسين، فالرجل بالنسبة لغالبية الأردنيين قد يكون إرتكب «خطايا» مع شعبه او تسبب بكوارث على الامة كما يقول البعض لكنه على الأقل كان داعما قويا وكريما للأردنيين ولم يسجل عليه خلاف ذلك لا أيام عزته وقوته ولا أيام ضعفه وأسره.

حمزة منصور يتهم الدول الاوروبية بالتواطؤ مع الصحف المسيئة

عمان ـ «القدس العربي»:

وصف امين حزب جبهة العمل الاسلامي الاردني حمزة منصور وزير الاصلاحات الدستورية الايطالي وعضو رابطة الشمال المعادي للعرب والاجانب روبرتو كالديرولي بالمزري المأفون.

واكد منصور في تصريحات صحافية له ان حكومة تضم مثل هذا الوزير انما هي حكومة متعصبة ومتطرفة، وعلى الاتحاد الاوروبي اذا كان جادا في تحسين العلاقة بين المسلمين والغرب ان يدين مثل هذا الموقف ويطالب بمحاسبة هذا الوزير الذي ينطلق من منطق صراع الحضارات لا حوار الحضارات.

وكان الوزير المعني قد قام بطبع الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام على قمصان.

وقال منصور ان اعتذارا واضحا وصريحا من الحكومات الاوروبية التي تواطأت مع بعض الصحف التي اساءت للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بالاضافة الى اعتذار الصحف ذاتها يمكن ان يشكل عامل نزع فتيل لحالة التوتر السائدة، والتوافق في حوار على سن قانون يجرم المساس بالعقائد.

وبين منصور ان ما فعله هذا الوزير جريمة جديدة تضاف الى الجرائم السابقة لمقدسات الامة وتتطلب ردا حازما من الحكومات العربية والاسلامية وموقفا شعبيا منددا بهذه الممارسات ومطالبا بعقوبات رادعة.

محكمة صلح عمان تحاكم المومني والخالدي ونقابة الصحافيين توقفهما عن العمل

عمان ـ «القدس العربي»:

واصلت محكمة صلح جزاء عمان امس الاول النظر بالدعوى المقامة ضد رئيس تحرير جريدة «المحور» الاسبوعية هاشم الخالدي من قبل الحق العام على اثر اعادة نشر الصحيفة الصور المسيئة للرسول الكريم.

وقدم وكيله المحامي محمد قطيشات بينات دفاعية خطية لهيئة المحكمة تتمثل بثلاثة اعداد من الصحيفة الاولى تحتوي على مادة صحافية نشرت بتاريخ 10 / 11 / 2005 والمادة الثانية نشرت بتاريخ 2006/2/2 والمادة الثالثة نشرت بتاريخ 9 / 2 / 2006 ومضمونها حسب وكيل المشتكى عليه يثبت حسن نية الخالدي فيما يتعلق بالنشر.

وطلب قطيشات من هيئة المحكمة امهاله للجلسة القادمة ليتمكن من تقديم البينة الدفاعية حيث استجابت هيئة المحكمة لطلبه وقررت رفع الجلسة الى صباح الاربعاء المقبل. ونظرت محكمة صلح جزاء عمان يوم امس في الدعوى المرفوعة ضد رئيس تحرير جريدة «شيحان» السابق جهاد المومني من قبل الحق العام على نفس الخلفية.

واعلن نقيب الصحافيين طارق المومني أن مجلس النقابة بدأ بتنفيذ قرار المجلس التأديبي بمنع جهاد المومني وهاشم الخالدي من ممارسة المهنة حيث خاطب المجلس دائرة المطبوعات والنشر لالغاء وضعيهما كرئيسي تحرير واعلامهما بوقفهما عن العمل.

وصرح المومني ان قرار المجلس التأديبي ملزم ويجب تنفيذه لذا تم علي الفور ايقاف الزميلين عن ممارسة المهنة مؤقتا لحين صدور القرار النهائي من المجلس التأديبي.

اشادة برجال اعمال الوزارة الشبعانين وسخرية من رئيس الوزراء.. وتغنّ بمحاسن الفوز بالكأس الافريقية.. وفتوى حول تدريب الكلاب في القوات المسلحة

اشادة فائضة وهجمات ضارية ضد مبارك.. و«روز اليوسف» تهاجم «الأهرام» وتعرض عليها استكتاب نانسي عجرم وشعبان عبد الرحيم

القاهرة ـ «القدس العربي»

من حسنين كروم:

كانت الأخبار والموضوعات الرئيسية في الصحف المصرية الصادرة أمس الخميس عن عقد الرئيس مبارك اجتماعا للمجموعة الوزارية المختصة بسياسات الإسكان والمرافق وإسكان الشباب ومحدودي الدخل والتخطيط العمراني للقرى والمدن وذلك في إطار اجتماعاته مع المجموعات الوزارية المختصة لبحث تنفيذ برنامجه الانتخابي، وتشكيل لجنة وغرفة عمليات لمتابعة ازمة السكر وارتفاع أسعاره وطرح كميات منه في الأسواق لمواجهة النقص الذي حدث وارتفاع الأسعار وسقوط الأمطار لليوم الثاني على التوالي وتحويل معظم الشوارع والحواري إلى برك وهذا من بركات حكومة الشؤم والنحس والبيزنس.

طبعا. حتى السماء غاضبة عليها وبداية تضاؤل الاهتمام بكارثة العبارة والرقم المفزع الذي ذكره أعضاء المجلس المحلي لمحافظة بني سويف بتفشي مرض الفشل الكبدي بين 37 % من سكان المحافظة وقيام الأمن بفض اعتصام ثلاثمائة شاب من أبنائنا الأقباط في الفشن، ووعدهم بالبحث عن الفتاة المسيحية هايدي سمير التي قال والدها انها اختفت وهربت مع شاب مسلم، وقيام العاملين بدار الكتب والوثائق القومية بمظاهرة ضد رئيسها الدكتور ناصر الأنصاري مطالبين بصرف مستحقات لهم وقيام الصيادين في مدينة رشيد بالتظاهر أمام مبنى الوحدة المحلية بسبب عدم قيام المحافظة بتنظيف البوغاز وقيام الدكتور نعمان جمعة الذي يتنازع على رئاسة حزب الوفد على رأس عدد من أنصاره بالتظاهر أمام مبنى مجلس الشورى لتأكيد شرعيته واجتماع هيئة مكتب أمانة الحزب الوطني الحاكم صاحب الأغلبية الشعبية التي لا وجود لها لمناقشة عدد من الموضوعات ومنها تجربة اجتماع اليوم الواحد وهي آخر اختراع تنظيمي للحزب فأضاف بذلك ابتكارات تنظيمية لم تتوصل اليها أعتى المنظمات والأحزاب التي مارست عملا سياسيا وعلنيا، والتوصل لاتفاق بين شركة أسمنت السويس والعاملين لزيادة أجورهم وإعلان الدكتور مجدي حسن رئيس الشركة القابضة للأدوية بأنه لا زيادة في أسعار الأدوية الأساسية، بل في أسعار أدوية أخرى، ولا بيع للشركات المملوكة للدولة وإنما طرح 40 % من أسهمها للبيع وهي الحجة التي يرددونها دائما ويمهدون بها لكوارث البيع، واستقبال المشير محمد حسين طنطاوي وزير الدفاع نائب وزير دفاع صربيا والجبل الأسود، وافتتاح السيدة سوزان مبارك أعمال المائدة المستديرة بمكتبة الإسكندرية عن المرأة في عالم غير آمن، في إطار الاحتفال بافتتاح معهد دراسات السلام، وموافقة مجلس القضاء الأعلى للإذن بمثول أربعة مستشارين أمام النيابة للإدلاء بأقوالهم، وهم أحمد مكي، ومحمود مكي، ومحمود الخضيري، وهشام البسطويسي لما نسب إليهم من تصريحات حملت تشكيكا في نزاهة بعض القضاة، وإلى التقرير فورا بعد أن تعبت من مقدمته.

معارك وردود

ونبدأ بالمعارك والردود وأولها خاصها الدكتور إبراهيم السايح أحد مستشاري جريدة «التجمع» ضد صديقنا محافظ الشرقية يحيى عبد المجيد فقال متهكما على الخطبة التي ألقاها بحضور الرئيس مبارك:

«بعد هذه الخطبة العصماء قال السيد المحافظ المستشار الوزير للسيد الرئيس إن شعب الشرقية يحب فخامته حبا يفوق الوصف، وأن كل الشرقاوية شديدو الفخر والإعجاب بالبرنامج الإصلاحي الرائع للسيد الرئيس..

ويبدو أن السيد الرئيس قد شعر بالإعجاب أو الشفقة تجاه تلك المشاعر الدافقة للسيد المحافظ فسأله عن البلد التي جاء منها عساه يكون منوفيا من بلد الرئيس، أو مباركي من أسرته.. ولكن المحافظ رفض أن يذكر اسم البلد الذي ينتمي إليه وقال للسيد الرئيس «اللي تؤمر بيه يا ريس»! أي أن السيد المستشار المحافظ الوزير لا يعرف لنفسه بلدا إلا وفق أوامر السيد الرئيس.. أو أنه يخشى أن يقول للرئيس اسم البلد التي جاء منها نظرا لهول الموقف في حضرة زعيم البلاد ورب نعمتها ورئيس كل المحافظين والوزراء والكائنات والبشر!!

المحافظ اسمه المستشار يحيى عبد المجيد.. أي أنه أحد رجال القضاء قبل أن يكون محافظا.

والمفروض أيضا أن يحتفظ القاضي بكل هذا الشموخ والحياد حال انتقاله إلى أي منصب تنفيذي حيث الناس تحترم وتوقر القضاة أكثر مما تفعل إزاء المحافظين أو الوزراء.

يا سيادة المحافظ الوزير المستشار.. اتق الله في عملك ووظيفتك.. فأنت خادم للشعب وليس للرئيس.. وسوف يحاسبك الله على ما أنجزته للناس وليس للرئيس.. وأنت تتقاضى راتبك وامتيازاتك من مال الناس وليس من أموال الرئيس.. ثم أنه لا يصح أن تكون في هذه السن وهذا المركز ثم لا تعرف اسم بلدك إلا بأمر وإذن وتوجيهات الرئيس.. ومن حظك أن السيد الرئيس لم يسألك عن اسمك أنت.. أو أسماء أولادك!».

ومن السايح إلى زميلنا محسن حسنين نائب رئيس تحرير مجلة «أكتوبر» وقوله ساخرا في عموده ـ آخر كلام: «واضح أن بعض كتابنا الأفاضل يمتون بصلة قرابة للفنان إسماعيل ياسين وعبد الفتاح القصري.. فخفة دم حضراتهم زادت وفاضت قوي!!

فهم يسخرون من حملة مقاطعة السلع الدنماركية والمظاهرات التي تندد بالإساءة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.. ويتساءلون هما المسلمين عايزين إيه بالضبط.. يخلوا الدانمركيين ينطقوا بالشهادتين.. أو ناويين يغزو الدنمارك يضموها لبلاد المسلمين؟! لا يا أفندية.. لا الناس عايزة تضم الدنمارك لبلاد المسلمين.. ولا الدنماركيين ينطقوا بالشهادتين.. كل المطلوب شوية احترام للإسلام والمسلمين.. فيها حاجة دي يا اخ بكار.. يا أبو كف رقيق وصغير!؟».

أما زميلنا مجدي حسنين مدير تحرير «الوفد» فقد تأثر لأبعد الحدود بما كتبه زميلنا وصديقنا والمؤرخ وعضو الهيئة العليا لحزب الوفد جمال بدوي في «المصري اليوم» بأنه ذهب للتحقيق معه في نيابة أمن الدولة ووجد عددا كبيرا من المحامين جاءوا للدفاع عنه من تلقاء أنفسهم بينما لم يرسل حزب الوفد أحدا. فقال مجدي يوم الإثنين في «الوفد»: «وعلى حد علمي المتواضع أن جمال بدوي أحيل إلى التحقيق أولا بتهمة «ازدراء النائب العام» ثم جرى تعديل الاتهام بعد ذلك إلى «التأثير على القضاة والرأي العام في دعوى منظورة أمام القضاء». ولكن تبقى الحقيقة، وهي أن جمال بدوي أحيل للتحقيق أمام نيابة أمن الدولة العليا.. ولا يختلف اثنان من القانونيين والمحامين على أن مسلمين ومسيحيين، مؤيدين ومعارضين.. لم يتخلف أحد، قلب واحد وهدف واحد أجمع عليه الجميع.. «نجيب النصر، هدية لمصر» حتى أولئك الذين لم تتح لهم فرصة الذهاب إلى استاد القاهرة وبقوا في أعمالهم ومنازلهم بطول مصر وعرضها، اجتمعت قلوبهم على بعد المسافة والديار على قلب الرئيس حسني مبارك وأسرته وحسن شحاتة ورجاله وحسام حسن المهمة ورفاقه، كل يشارك بكل ما هو متاح له، وبفؤاده ومشاعره وحسه وانفعالاته قبل كل شيء. لكن أعظم ظواهر هذا المهرجان الوطني الصادق هو عودة الروح إلى الطبقة الوسطى طواعية واختيارا في تلقائية وحماسة منقطعة النظير، وهذه الطبقة التي كنا قد افتقدنا حضورها وربما فقدنا الإحساس بها في كثير من المناسبات المهمة والقومية.. وظننا بها ظن السوء والانشغال عن الشأن الوطني، وادعينا أنها قد تآكلت، أو انسحبت من الحياة العامة، أو ركنت إلى السلبية واللامبالاة، بهمومها وكفاحها والمشكلات الحياتية التي تمتصها.

هذه الطبقة عادت إليها الروح والهمة، وجرت في عروقها دماء الوطنية الصادقة والإحساس بالانتماء الوثيق لوطنها».

طبعا.. طبعا.. ولهذا لم تكن مصادفة أن تقول زميلتنا بـ«الأخبار» نوال مصطفى في نفس اليوم: «مصر.. مصر.. صارت هتافا بديعا تردده الحناجر.. إيقاع واحد.. نبض واحد.. صوت واحد.. قلب واحد يحمل 74 مليون قبلة على جبين مصر.. عادت كلمة مصر ترتفع بحماس ووطنية وعاد علم مصر يرفرف بخيلاء وعزة.. 10 شباط (فبراير) 2006 يوم لن ننساه.. فالروح المصرية العظيمة التي توارت كثيرا خلف سحب الإحباط واليأس عادت تشرق من جديد بقوة وحرارة شمس تذيب الجليد، وتعيد الإحساس بالقوة.. التفرد والأصالة. إن هذا الشعب العظيم شارك في البطولة مع الكابتن حسن شحاتة وحسام حسن وميدو وأحمد حسن وعصام الحضري وائل جمعة وعماد متعب وعمرو زكي.. شارك بحماسة.. شارك بحبه الحقيقي.. شارك بإيمانه بالله وثقته أن هذا الفريق المكافح يستحق النجاح.. وجدير بالفوز.

أما اللقطة الرائعة التي التقطها بذكاء ولماحية مخرج التليفزيون وكانت ـ بحق ـ حديث الناس في فرط تلقائيتها وطبيعتها فكانت قبلة السيدة سوزان مبارك على جبين الرئيس لحظة إعلان فوز مصر ببطولة كاس الأمم الأفريقية التي أعقبت صفارة الحكم ونهاية المباراة! مبروك لمصر.. ولكل المصريين».

وهكذا يكون الكلام والتفسير وإلا فلا.. ولذلك لا شأن لنا بقول زميلنا محمد فتحي في «الدستور»: «إن معسكر الحاكم/ الرئيس لا يدع «الساقطة» ولا «اللاقطة» تمر دون تحقيق مكاسب ضخمة خاصة أن الصورة الذهنية للنظام لدى الشعب قد بدأت في الاهتراء بفعل الزمن من ناحية، وبفعل السيناريوهات الفاشلة العديدة التي صاغها مستشارو النظام لكسب جمهور جديد من جهة أخرى، وكان هذا واضحا من خلال الظهور المكثف والمدروس لعائلة الرئيس منذ بداية البطولة لا سيما لمبارك الذي نظم له رجاله برنامجا إعلاميا مدروسا، مدركين أنه إذ كان الدين أفيون الشعوب فإن كرة القدم في مصر هي «بانغو» هذا الوطن. كان واضحا ـ بما لا يدع مجالا للشك ـ أن ظهور العائلة الحاكمة بدءا من علاء مبارك ومعه السيدة زوجته التي تلوح بالعلم المصري طوال المباريات وابنها الجميل الذي تركز عليه كاميرات قناة النيل للرياضة ويجري معه شوبير حوارا يفتخر به، ويظهر معهم جمال مبارك الأخ الأصغر هادئا رصينا متبادلا بعض التعليقات بين الحين والآخر مع الجماهير لغرس صورة أن جمال «واحد من الناس» وأنه «بين الناس دائما» فربما ـ بل بالتأكيد ـ ستتم الاستفادة من هذه الصور في الوقت المناسب.

ثم كان لابد من تكرر ظهور علاء وجمال في تدريبات المنتخب لتذليل أي عقبات ولدعم اللاعبين باستمرار وإرسال تحيات الرئيس المحب للرياضة ولكرة القدم كما رددت وسائل الإعلام الرسمية وبغبغ عدد كبير من أوركسترا الصحف القومية الموالس بالمقدمات سالفة الذكر.. إذن كان من المنطقي أن تكتمل الصورة بحضور الرئيس أحد تدريبات المنتخب ليتضح أن كل ما تم لم يكن سوى مجرد تمهيد لحضور الرئيس شخصيا مرتديا البالطو للإشارة إلى برودة الجو القارسة التي لم تمنع الرئيس المتحمس المحب لمصر وراعي الرياضة الأول من مؤازرة أبنائه في مهمتهم الوطنية على أرض ستاد القاهرة.

ولكي تكتمل الصورة فقد استعانت السيدة سوزان مبارك في مشروع تتبناه قوميا بفكرة الكارت الأحمر الذي يخرجه الحكم لطرد اللاعب المخطئ في مباريات كرة القدم لكن هذه المرة كان الكارت الأحمر في وجه عمالة الأطفال بحيث تبدو سيدة مصر الأولى من المتابعات لكرة القدم وقوانينها رغم كوننا لم نرها في المناسبات الرياضية التي حضرها الرئيس مبارك، وبالطبع كان من المستحيل أن تتواجد في كل المباريات لتشجيع الفريق والجلوس في مدرجات عادية بعيدا عن الزجاج المصفح، لكن سيناريستات لجنة السياسات الذين صاروا يديرون البلد فعليا لم يكونوا ليقفوا أمام موقف كهذا فتمت الاستعانة بفكرة الكارت الأحمر وباقتراح حضورها نهائي كأس الأمم الأفريقية.. ولأن مرحلة الفوز هي الأهم في كل هذه المراحل فقد فوجئ الجميع بالفرحة العارمة التي اجتاحت «رجالات» الدولة وهم يتقافزون في المقصورة الرئيسية بينما الرئيس هادئ مبتسم مكتف بالتصفيق والتلويح مرتديا حلة الرصانة وهدوء الأعصاب ورباطة الجأش حتى عند الفرحة «طيار بأه» فما كان من سيدة مصر الأولى سوى أن قبلته مهنئة في أول قبلة من نوعها تظهر علنا في عصر مبارك على اعتبار أن الفرحة كانت غامرة لدرجة تستحق القبلة.. ولا أعرف حقا لماذا اندهش الكثيرون من تلك القبلة التي نقلتها شاشات التليفزيون رغم أنها قبلة عادية من زوجة لزوجها ابتهاجا بنصر عظيم.. وهي أول قبلة بين رئيس وزوجته في تاريخ مصر منذ 1952 بل علنا لم نشهد حتى قبلة ملكية كهذه في تاريخنا».

واستمرت هذه الجريدة التي بدأت أفكر في مقاطعتها في أحقادها فنشرت تحقيقا آخر لزميلنا مؤمن المحمدي قال فيه ـ وقد أزعجني بما قال: «ومن العبارات المثيرة للغضب والتي انتشرت على لسان كل من عبر أمام كاميرا التليفزيون في البرامج «التحليلية» عبارات رعاية الرئيس ووليديه جمال وعلاء للمنتخب وقيادة السيدة سوزان للجماهير حاملة علم مصر وكأنها من المفترض أن تحمل علم كوت ديفوار، ثم المفاجأة الكبرى التي قدمتها للجماهير بإخراجها علم مصر من الشنطة.

ثم بأي صفة يرعى جمال وعلاء المنتخب؟ وهل من مهمة لجنة السياسات بأي حزب حتى لو كان الحزب الحاكم أن يتدخل في عمل فريق للكرة؟ ثم أنه ولا مؤاخذة في السؤال هل السيدان جمال وعلاء متفرغان لهذه الدرجة حتى أنهما يهدران شهرا كاملا في متابعة فريق كرة القدم.. تدريبات وعزومات وحل مشاكل وتدخل في التشكيل؟ ألا يعرف هؤلاء الذين يستغلون فرحة البسطاء في نفاق الرئيس وعائلته وإعطائهم بالرياضة شرعية فشلوا في الحصول عليها سياسيا وشعبيا أن كوت ديفوار الدولة التي وصلت على حسابنا للمونديال والتي وصلت معنا للنهائي وفزنا عليها بصعوبة تعاني من حرب أهلية طاحنة؟ يعني لا دور على الإطلاق في كرة القدم لتوجيهات الرئيس ولكوت ديفوار الاستقرار والأمن والأمان؟».

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!! هذا كلام يصح أن يقوله مؤمن؟ ومحمدي؟

حكومة ووزراء

وإلى حكومة الشؤم والنحس والبيزنس التي قال عن رئيسها كاتبنا الساخر الكبير أحمد رجب يوم الخميس في بابه اليومي بـ«الأخبار» ـ نص كلمة: «تحيرني أحيانا تصريحات رئيس الوزراء، فبغض النظر عن تصريحه الشهير بأن الشعب المصري لم ينضج بعد للحكم الديمقراطي، نراه في قناة «إن. بي. إس» يقول ان التعذيب في مصر ليس ممارسة منتشرة بل هو انتهاكات من الشرطة تحدث أحيانا، وفي حديث له بمجلة نيوزويك يقول د. نظيف ان الانتخابات لم تمت بنزاهة لفاز الإخوان بأربعين مقعدا فوق ما فازوا به وليس لي اعتراض موضوعي على التصريحين لكني أسأل هل د. نظيف رئيس حكومة أم زعيم معارضة؟».

وهل هذا سؤال؟. طبعا رئيس حكومة رجال الأعمال الذين أشاد بهم في نفس اليوم ـ الخميس ـ زميلنا محمد علي إبراهيم رئيس تحرير «الجمهورية» الحكومية واختص اثنين قال عنهما: «وما زال المصريون ينظرون إلى الوزراء الشبعانين بتقدير، اللهم إلا كانت هناك شبهة فساد في ثرواتهم، فإن هؤلاء يسقطون من نظر الناس فورا.. فالوزير الذي يخرج من منصبه ثريا لا يكون فوق مستوى الشبهات.. أما الذي يدخل الوزارة وهو «شبعان» فإنه ـ في الأحوال العادية ـ يكون محصنا ضد الفساد، وإذ حدث اختراق لمنصبه فإنه يكون من العاملين في مكتبه أو المحيطين به. وقد أعجبني ما نشر عن تبرع وزير النقل المهندس محمد منصور بخمسة ملايين جنيه لضحايا العبارة، كما تبرع «ابن خالته» وزير الإسكان المهندس أحمد المغربي بمليون جنيه لنفس الغرض. التبرع الذي أقدم عليه الوزيران ـ وبالذات وزير النقل ـ هو الأول من نوعه والأكبر من حيث المبلغ فلم يسبق لنا أن سمعنا عن تبرع بهذا الحجم قبل الآن.. وربما تكون هذه الميزة من مزايا «المليونيرات» فإذا كان المليونير إنسانا فإنه يكبر في عيون الناس.. على أية حال، مؤكد أن هذا التبرع لن يعجب البعض وسيقولون قتلهم ورمى لهم «شوية فكة» وإيه يعني خمسة ملايين لواحد مليونير زيه.. وسيقول آخرون أن فلوسه لن تمسح الدموع ولن تعيد الأباء والأزواج والأمهات الذين اختطفهم يد الموت.. ولن.. ولن.. ولا تملك إلا أن تتعجب وتسأل هل أجرم الرجل بالتبرع.. وما الذي كان عليه أن يفعله لترضى عنه المعارضة وصحفها؟ سيقولون أن يستقيل!! ومن الطبيعي ان ترد وهل ستعيد الاستقالة الذين ماتوا أو فقدوا أو أصابهم الاكتئاب!؟».

طبعا.. طبعا.. هكذا يكون الوزراء الشبعانين.. وإلا فلا.. ولذلك لابد أن يكون كل الوزراء من رجال الأعمال ـ حتى نطمئن على مصالحنا التي قال عنها زميلنا حمدي رزق نائب رئيس تحرير مجلة «المصور» في عموده اليومي ـ فصل الخطاب ـ بـ«المصري اليوم» ـ يوم الأربعاء عن هكذا شبعانين: «ما خرج من مصر من أموال بشكل شرعي في الربع الأول من العام المالي 2005 ـ 2006 بالضبط 607 ملايين دولار، الإحصائية رسمية وعلى مسؤولية وزارة الاستثمار، ولكنها تشبه رأس جبل من النزح المالي المستمر للأموال المصرية. خرجت بطرق شرعية وبمعلومية الحكومة، وباعتراف الدكتور محمود محي الدين وزير الاستثمار فإن المعلومات الأخرى، التي توافرت جد مقلقة، وخلاصتها أن مصرفين من أكبر مصارف الحسابات السرية السويسرية نزلا القاهرة أخيرا باستراتيجية مصرفية جديدة، تخفض سقف المال اللازم لفتح الحسابات السرية إلى عشرة آلاف دولار أمريكي فقط لا غير.

المناخ السياسي القلق يقلق رأس المال حتى لو كان مشروعا، فما بالك وإن كان غير مشروع، وعدم وضوح الرؤية، وضبابية الخلافة ـ خلافة الرئيس ـ يربك الحسابات المصرفية وغيرها، بكره مش عارفين هيحصل إيه، كما أن رأس المال الجبان، يصبح أكثر جبنا في تلك الحالات العبثية التي تتقافز الجماعات «المحظورة» لتقطع الطريق إلى السلطة».

السلام 98

وإلى عبارة الموت السلام 98 ونفوذ رجال الأعمال الذين باتوا يتحكمون في البلاد والعباد، وقال عنهم في «المصري اليوم» زميلنا وصديقنا سليمان الحكيم وهو من كبار محرري وكتاب السياسي المصري: «هاهي الصورة أمامنا واضحة ليس فيها سوى رجال الأعمال وأصحاب الثروات دخلوا مضمار السياسة والحكم ليسيطروا ويهيمنوا سعيا لزيادة ثرواتهم، حتى لو كان ذلك على حساب الفقراء والغالبية من طبقات الشعب المطحون. فما كاد الرئيس يعلن أن المتسببين في حادث العبارة لن يفلتوا من العقاب حتى خرج علينا وبعدها بساعات فقط وزير الاستثمار ليعلن أن العبارة مملوكة لشركة بنمية، وأن السيد ممدوح إسماعيل ليس أكثر من مدير لأعمال الشركة ووكيل لها في مصر.. وهكذا لم يعد أمامنا لتنفيذ وعد الرئيس بمعاقبة المتسببين في حادث العبارة إلا إ